

## سباق دبلوماسي بين مصر وإثيوبيا



مبارك، لتصل إلى يقين باللاجذوى العسكرية. يؤدي الوصول إلى هذه النقطة إلى انتصار إثيوبيا سياسياً، لأن نزاع ورقة الحشد الدولي وإبعاد القوى المؤثرة عن دعم الموقف المصري يُبقي الأزمة على طاولة المفاوضات لأطول فترة ممكنة، الأمر الذي جعل إثيوبيا تبتذل جهداً دبلوماسياً كبيراً في هذا الفضاء الفتره الماضية.

وتخشى حكومة أديس أبابا من أن تقود التصورات المصرية إلى حشرها في زاوية الدولة المارقة في المنطقة بما يضاعف من همومها بعد زيادة وتيرة التنديد الدولي بممارساتها في إقليم تيغراي، وتفقد كل تعاطف معها في ملف سد النهضة، وتحصل مصر على مصداقية تبرز هجومها المعنوي أو المادي على إثيوبيا.

وعليها التدخل قبل أن يفلت زمام الأمور من عقاله. كما أن التوجهات السياسية تريد مصر من ورائها الإيحاء بأن الأمل لا زال معلقاً بمسار المفاوضات، وعلى الرغم من أنها استخدمت لهجة حادة ورسمت خريطة للخط الأحمر الذي يدفعها للقيام بعمل عسكري، إلا أنها تريد تصويره حالياً على أنه أداة ردع، والتأكيد على أن تحويله لفعل مصحوب بوقوع الضرر.

بينما تتعامل أديس أبابا مع التهديد السابق على أنه محتمل حدوثه، ويدفعها لمناطحة القاهرة دبلوماسياً لتفضيل حشدتها الذي يريد وضع الكرة في ملعب إثيوبيا بمفردها، وكى توجد انقساماً على الساحتين الإقليمية والدولية، وتصوير أي تعامل خشن من القاهرة على أنه "اعتداء غير

قدرتها على التمدد لاحقاً، بعد أن تخلص النظام الحاكم في مصر من معاداة القبول بإملاءات من جانب قوى دولية، وعمل حثيثاً لأجل كسب مساحة تبعد عنها.

يطغى شعور بالمؤامرة في أزمة سد النهضة على تفكير الإدارة المصرية، الأمر الذي فرض اللجوء إلى تفعيل الخيار الدبلوماسي لحل الغائزها، لأن طرح سيناريوهات عسكرية للتعامل مع الأزمة له عواقب وخيمة من غير تهئية الأجواء السياسية.

تفسير التحركات الدبلوماسية إلى أنها تحمل في طياتها تحذيرات من مغبة عدم التوصل إلى اتفاق مُلزم، فالقوى التي تحرص على استمرار مصالحها مع إثيوبيا سوف تتأثر بتصاعد العداء بين الدول الثلاث،

النفوذ الذي يتمتع به كل طرف وقدرته على نسج شبكة مصالح، فلا يُوجد تأييد مجاني.

في ظل التفاعلات الإقليمية والدولية المتشابكة لم تعد الدول تمنح صكوك الدعم أو التأييد إلا في الحدود التي تحقق أهدافها وتضمن لها الحفاظ على مصالحها، بعيداً عن أي توجهات أيديولوجية أو عقائدية، ما يضيف على التحركات الدبلوماسية صيغة المناقشة المتبادلة، فالشرح وحده لن يكفي لتغيير الحسابات والتقدير، ولهذا قد تفتح مصر، وإثيوبيا أيضاً، مزايدات مغرية لجذب القوى المستهدفة إليها.

انتهت القاهرة مؤخراً لخطورة التحالفات التي عقدتها إثيوبيا مع قوى عديدة في ظل غيابها عن الساحة الأفريقية لسنوات، وزادت من خطتها لعقد اتفاقيات تعاون اقتصادي وعسكري وسياسي مع الدول المجاورة لإثيوبيا لتصويب المسارات التي اختلت ومكنت حكومتها من الصمود نحو عشرة أعوام من المفاوضات مع مصر والسودان، ولم تغير موقفها الثابت من احتكار السيطرة على النيل الأزرق.

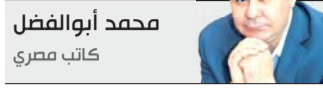
تسير الدبلوماسية المصرية على خطوط متوازية عديدة، بعضها يربد الشرح والتفسير والتوضيح، والبعض الآخر يعمل على تكثيف التحالفات الإقليمية، والبعض الثالث يربد تفكيك الدول الداعمة لإثيوبيا أو تحييدها، الأمر الذي يحتاج إلى تنازلات أكبر من التحركات المجانية، لأن الدبلوماسية وحدها من الصعوبة أن تقضي إلى نتائج ملموسة، خاصة إذا اختزلت فقط في نطاق الدعاية.

تعلم القوى القريبة من أديس أبابا أن توطيد العلاقات معها أسفر عن مردودات على مستويات تتجاوز مسألة المصالح الاقتصادية المباشرة، ووصل إلى حد الاستثمار في تحجيم طموح مصر الإقليمي الكامن، فوجود منغص مستمر يتعلق بالمياه يعطل

بادلت أديس أبابا الخطوات المصرية باخرى مضادة داخل مجلس الأمن نفسه، وقدمت مذكرة قبل أيام شرحت فيها وجهة نظرها، وادفعت عن موقفها بحجة أن المشروع يرمي لتحقيق أعلى استفادة للمياه من دون المساس بمصالح دولتي المصب، وحث الكثير من التفاصيل لإجهاض المسعى المصري للعودة إلى المجلس، وحصر المفاوضات في النطاق الأفريقي الذي لم يحقق تقدماً ملموساً. أخذت إثيوبيا على عاتقها التنسيق مع بعض الدول الأفريقية للقبول بمقترح قدمته، الأربعاء، دعت فيه جمعية الاتحاد الأفريقي للمشاركة في المفاوضات لتبتعد عن شبح التحويل، وتتجنب فرض الصيغة الرباعية التي اقترحتها السودان وأيديتها مصر، ودعت لمشاركة الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة إلى جانب الاتحاد الأفريقي.

**شعور بالمؤامرة في أزمة سد النهضة يطغى على تفكير الإدارة المصرية الأمر الذي فرض اللجوء إلى تفعيل الخيار الدبلوماسي لأن طرح سيناريوهات عسكرية له عواقب وخيمة من غير تهئية الأجواء السياسية**

ينطوي السباق الدبلوماسي الراهن على ما هو أكبر من شرح الرؤى وتحديد المواقف ووضع النقاط على الحروف وأسفلها، لأن كل دولة تريد حشد أكبر كتلة سياسية معها حسباً لما قد يترتب على مناقشة الأزمة داخل أروقة مجلس الأمن أو الأمم المتحدة مستقبلاً، وهو ما يتطلب تهئية مسبقة تبين حصيلتها حجم



محمد أبو الفضل كاتب مصري

هذات نبرة التجاذبات الفنية بين مصر وإثيوبيا وبدأ كل طرف في حوض معركة دبلوماسية ظاهرها توضيح المواقف وباطنها إبراء الذمة من عواقب استمرار الانسداد في المفاوضات وعدم التوصل إلى اتفاق، حيث يسعى كل جانب لشرح رؤيته وتحميل الجانب الآخر مسؤولية عدم التوصل إلى نتيجة إيجابية حتى الآن.

شرعت مصر في تحركات دبلوماسية واسعة داخل هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وقدمت مذكرة تفصيلية حول التطورات تضمنت كشف التعقيدات التي تسبب فيها التعتت الإثيوبي والتحصن من الالتزامات التي أقرتها قوانين الإنهاء الدولية، واتفاق المبادئ الموقع بين الدولتين ومعهما السودان في مارس 2015 بالخروطوم.

تستعد وزارة الخارجية المصرية للقيام بجولات أوروبية وأميركية وآسيوية وأفريقية للعرض نفسه، لأن إثيوبيا تعتمد القيام بالماء الثاني للسد في يوليو المقبل، وبعدها لن تجدي التحركات السياسية في الضغط عليها، كما أن أي عمل عسكري قد يحمل مخاطر كبيرة على السودان، إذا وصل مخزون المياه إلى نحو 20 مليار متر مكعب كحصيلته تقريبية مجتمعة للماء الأول والثاني.

بدأ وزير الخارجية سامح شكري بجولة تشمل كينيا وجزر القمر والكونغو الديمقراطية وجنوب أفريقيا والسنغال وتونس لتتويزهم بطبيعة الموقف المصري، وحجهم على بذل جهود لإنقاذ المفاوضات، وسواء بقي الملف في جعبة الاتحاد الأفريقي، حيث تترأس الكونغو دورته الحالية، أو جرى تصعيده داخل مجلس الأمن، مع عضوية كينيا وتونس حالياً، يمكن أن تحقق القاهرة فائدة، أو تعرف حدود تصرفاتها في الفترة المقبلة.

## فصول من ملحمة العنف والفقر في جمهورية تشاد

**العرب**

أول صحيفة عربية صدرت في لندن  
1977 أسسها  
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير المسؤول  
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام  
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير  
مختار الدبابي  
كرم نعمة  
منى المحروقي

مدير النشر  
علي قاسم

المدير الفني  
سعيدة يعقوبي

تصدر عن  
Al-Arab Publishing House  
المكتب الرئيسي (لندن)  
The Quadrant  
177 - 179 Hammersmith Road  
London, W6 8BS, UK  
Tel: (+44) 20 7602 3999  
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان  
Advertising Department  
Tel: +44 20 8742 9262  
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk  
editor@alarab.co.uk

الرئيس إدريس ديبي، كان أصلاً خباراً ليبيا إبان حكم معمر القذافي، ضد حسين حبري الذي كان خيار الأميركيين والفرنسيين. وفي الأونة الأخيرة، التحق إدريس بقطار التطبيع مع إسرائيل، لعله يتنجو ويحصل على ما لم تحصل عليه جمهورية جنوب أفريقيا. وكانت طموحاته، في بدايتها، قد تاججت في كنف معمر القذافي، عندما شكل جبهة الإنقاذ الوطنية، وهجم بقواته على العاصمة وأطاح بغريمه حبري في العام 1990 مدعوماً من ليبيا والسودان. فهو مسلم من قبيلة "الزغاوة" المنتشرة على جانبي الحدود التشادية - السودانية، وسرعان ما اتضح أن الرجل تفاهم قبلاً مع الفرنسيين، الذين ضجوا من الشراكة مع الولايات المتحدة، ووفروا له التحصيل العسكري في الطيران. لكن القذافي ظل يرى في إسقاط حبري إنجازاً، لأن الولايات المتحدة في فترة ولاية رونالد ريغان، راهنت عليه لمحاربة ليبيا ووقف طموحات القذافي.

لكن المسار الموضوعي للبلاد، ظل ينتقل من دكتاتور إلى آخر، ومن كابوس إلى كابوس. فبعد انتخابات نزيهة جرت في العام 1979 فاز فيها المناضل التشادي كوكوني عويدي، وهو من قبيلة أخرى، انقض حسين حبري على العاصمة بقواته، وأطاح بالرئيس المنتخب في العام 1982 فلجأ المطاح به إلى الجزائر، ثم انقض إدريس ديبي على حبري صديق الأميركيين المحكوم عليه من محاكم أفريقية بجرائم اختطاف وقتل واغتصاب، وتسلم الحكم. لكن طبائع ديبي أخذته إلى عداوات مع مجموعات واسعة من السكان بسبب الدكتاتورية والفساد. وشهدت فترة حكمه الطويلة، منذ العام 1990 ظهور الكثير من حركات التمرد واندثارها، والتي كانت في كل مرحلة معطوفة على كل مشكلات الحياة في تشاد، حتى وصل الأمر إلى الحال الراهنة التي يتشظى فيها ائتلاف يطلق على نفسه "اتحاد قوى المقاومة" (UFR) الذي يشن غارات خاطفة على تخوم العاصمة، وسقط إدريس ديبي في آخر غارة منها، قبل أن يقترب من تحقيق أكثر أمنيات شعبه تواضعاً، وهي الحصول على مياه الشرب النقية.

دعا المتحدث باسم الأمم المتحدة جوليانو إلى القول "إذا لم نتمكن من تقديم المساعدة بمستويات كافية، فقد تصبح الأزمة الإنسانية كارثة كبرى".

فضلاً عن ذلك، كان سلاح المتمردين، وكذلك سلاح قطاع الطرق، قد دفع الرئيس المتفرد إلى أن يلقي حرقه يوم الاثنين الفائت (20 أبريل 2021) إلى تخصيص جزء من دخل البلاد العام - على ضلته - الذي بلغ 399 مليون دولار سنوياً لصد الهجمات من كل حذب وصوب. فالسلاح الفالنت الذي يقطع الأزراق، يقطع أيضاً المساعدات الإنسانية. فقد أوقفت منظمات مثل منظمة "إنقاذ الطفولة" الدولية أنشطتها بسبب قتل عمال المساعدات.

لسنا في حاجة إلى استعادة تاريخ تشاد المعاصر، وإن كنا في حاجة إلى التذكير بأن أكثر من نصف سكان تشاد مسلمون، و13 في المئة منهم ينتمون إلى أصول عربية، والتذكير أيضاً، بأن الحكم التشادي فعل كل ما يلقي استحسان الحكومات العربية، إذ كان مشاركاً فعلاً في التصدي للمجموعات الإرهابية المسلحة، بالتعاون مع الفرنسيين ومع بعض الحكومات العربية، ثم إن

والبقوليات وتواجه المدن التشادية معاناة شديدة، بسبب افتقارها للبنية التحتية، ويحصل 48 في المئة من سكانها على مياه الشرب غير المنقاة، ولديهم 2 في المئة مما يحتاجونه من المرافق الصحية الأساسية، وتندر المياه النظيفة، بل إن زراعة المحاصيل، ترتبط بالخطوط وحسب المناخ المحلي.

عندما أظهرت الدراسات، احتمال استخراج البترول، غضب الفرنسيون من التشاديين الذين أدركوا جفاهم الاقتصادي، عندما منح الرئيس التشادي إدريس ديبي إتنو، امتياز التنقيب لشركة "إكسون" الأميركية قبل أكثر من عشرين سنة. كانوا الفرنسيون أرادوا سد أقب البترول المحتمل، بالهيمنة عليه قبل أن يظفر، ولكي يظل شعب تشاد يعيش في أحسن حالاته على إنتاج الصمغ العربي، وبعض كروبيونات الصوديوم، وبعض القطن، الذي هبطت أسعاره، خاصة في فرنسا ومحيطها.

كان الرئيس السوداني المخلوع، عمر حسن البشير، قد أضاف إلى مشكلات تشاد، واحدة من عقد مشكلات استنزافها، عندما دفع بميليشيات الجنجويد إلى داخل حدودها، وقد

تعد جمهورية تشاد، بلداً متعزراً طوال الوقت، على الرغم من تعهد الفرنسيين بحماية السلطة فيه، على اعتبار أن هذه الحماية هي المعامل الموضوعي للاستقرار الذي يريده الفرنسيون. ففي كل شيء، ظل شعب تشاد محروماً من أي شكل من التنمية، وحتى في التوزيع الجغرافي لهذا البلد، باعتبارها أحد بلدان الساحل الأفريقي، ليست لديه علاقة بأي ساحل، كونه ببساطة محشوراً في قلب المسافة بين المحيط الأطلسي والبحر الأحمر، وتلك مسافة تتوغل بلدانها الداخلية في الصحراء ولا تطل على أي بحر أو نهر. غير أن سياسات الحياة في تشاد، تضفي بالوتيرة نفسها، واحد من أفقر سبع بلدان في العالم، لا ألق لتحصين شروط الحياة فيه، ويزيد الطين بلة، كونه يربح تحت نظام حكم عسكري مستبد، يجمع رئيس الجمهورية فيه كل الصلاحيات، ولا فصل بين السلطات، وعاش طوال ثلث القرن الماضي، بين عاد ومعدو عليه، وكان طبعياً أن تنشأ فيه حركات تمرد مسلحة لإسقاط الحكم.

الماتمل في علاقة فرنسا بجمهورية تشاد، هي تمسك الأولى بالنمط الاستعماري القديم نفسه، دون أن تساعد على حلحلة الأمور في اتجاه الحد الأدنى من التنمية، دون مجرد تفكير في إعادة هيكلة نمط العلاقة، لكي تفيد التشاديين مثلما تستفيد منهم. فقد كان خمسة عشر ألف جندي تشادي، يقاتلون مع الفرنسيين، في الحرب العالمية الثانية، ولم يشفع ذلك للتشاديين عند الفرنسيين، الذين لم يزر سخاؤهم مع تشاد، إلا في حالات التدخل العسكري لرد المتمردين بقصف طائراتهم الحديثة، لتثبيت الوضع القائم.

الآن مع دخول العشرية الثانية من القرن الحادي والعشرين، يعيش 80 في المئة من التشاديين تحت خط الفقر، ويعتمدون على زراعة الكفاف وتربية الماشية لكسب قوتهم، وتوفر الواحات المتناثرة في الصحراء بعض التمور



عدلي صادق كاتب وسياسي فلسطيني

